

أضواء البيان

. @ 381

وقد قدمنا هذا في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى { أَتَى أَمْرُ اللَّاهِ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ } . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { إِذِ الْفُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ } الظاهر فيه ، أن إذ ، بدل من يوم ، وعليه فهو من قبيل المفعول به ، لا المفعول فيه ، كما بينا آنفاً . .

والقلوب : جمع قلب وهو معروف . .

ولدى : ظرف بمعنى عند . .

والحناجر : جمع حنجرة وهي معروفة . .

ومعنى كون القلوب لدى الحناجر ، في ذلك الوقت فيه لعلماء التفسير وجهان معروفان . . أحدهما : ما قاله قتادة وغيره ، من أن قلوبهم يومئذ ، ترتفع من أماكنها في الصدور ، حتى تلتصق بالحلوق ، فتكون لدى الحناجر ، فلا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا . وهذا القول هو ظاهر القرآن . .

والوجه الثاني : هو أن المراد بكون القلوب ، لدى الحناجر ، بيان شدة الهول ، وفطاعة الأمر ، وعليه فالآية كقوله تعالى : { وَإِذْ زَاغَتِ الْاُصُّ بِصَارُ وَبَلَغَتِ الْفُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّاهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا } وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { كَاطِمِينَ } معناه مكرويين ممتلئين خوفاً وغماً وحزناً . .

والكظم : تردد الخوف والغيط والحزن في القلب حتى يمتلئ منه ، ويضيق به . .

والعرب تقول : كظمت السقاء إذا ملأته ماء ، وشدته عليه . .

وقول بعضهم كاظمين ، أي ساكتين ، لا ينافي ما ذكرنا ، لأن الخوف والغم الذي ملأ قلوبهم يمنعهم من الكلام ، فلا يقدرّون عليه ، ومن إطلاق الكظم على السكوت